مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

الحجاز من خلال مؤلفات الرحالة الشناقطة خلال القرن التاسع عشر الميلادي

-محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي أنموذجًا-

Al-Hijaz through the writings of the traveler Al-Shanaqita during the nineteenth century AD (Muhammad Mahmoud Weld Al-Talamidh Al-Shanqeeti as a model)

صادوق الحاج
Sadok El Hadj
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله الجزائر
مخبر المخطوطات
sadokelhadj@gmail.com

الارسال: 22/02/26 القبول :22/03/24 النشر:2022/04/16 المرسل: صادوق الحاج

الملخص:

لعبت الرحلة دورا هاما وكبيرا في تطوير معارف وخبرات الحضارات الإنسانية ومن بينها الحضارة العربية الإسلامية. وكانت لرحلات بني الإنسان وارتحالهم في الأرض (طوعا أو كرها) أثار مباشرة في صياغة تاريخ البشرية وتطور علوم الإنسان فمن الرحلات الرعوية الجماعية، عرفت الإنسانية الأرض الخصبة الجديرة بالاستقرار، وبخبرات القرويين في الأرض تطورت الزراعة والصناعات الأولى والمعارف البدائية والاشراقات الأولى للعلوم.

ومع تطور الإنسانية صارت الرحلة فردية، وصارت أهدافها متنوعة، فمن البحث عن الرزق وتحسين الأحوال، إلى متعة التجوال والتطلع إلى الآفاق البعيدة، وهذا ما جعل الرحالة العرب المسلمين خاصة يكون لهم اسهامًا كبيرًا في كتب الرحلات، وان نصوص هذه الرحلات لم تنحصر في المجالات الأدبية فقط، بل تجاوزتها الى حقول معرفية أخرى كالجغرافيا والتاريخ وغيرها.

الكلمات الدالة: الرحلة، الحضارة الإنسانية، المعارف البدائية، الأفاق البعيدة، حقول معرفية.

Abstract

Traveling played an important and significant role in developing the knowledge and experiences of human civilizations, including the Arab-Islamic civilization. The journeys of humankind and their travels in the land (willingly or involuntarily) had direct effects in the formulation of human history and the development of human sciences. From the collective pastoral travels, humanity knew the land and its worthiness of stability. And with the experiences of the villagers on the land. Agriculture, the first industries, primitive knowledge and the first rays of science has developed.

With the development of humanity, the journey became individual, and its goals became diverse, from the search for livelihood and improvement of conditions, to the pleasure of wandering and looking to distant horizons and this is what made the Arab Muslim travelers in particular to have a great contribution in the travel books. Not only, but they transcended it to other fields of knowledge such as geography, history, and others.

Keywords: the journey, human civilization, primitive knowledge, distant horizons, fields of knowledge

مقدمة:

تعتبر الرحلات من الفنون الأدبية الراقية التي اهتم بها العرب قديمًا وحديثًا لما فيها من أخبار وغرائب، ومشاهدات، ومناظرات عاشها مؤلفها، فكانت تستجلب القراء بفضول الى معرفة الآخر، والبلدان البعيدة وأخبار سكانها.

فلم تلبث الرحلة حتى صارت فنًا عربيًا أصيلاً في النثر العربي بسماته التاريخية والجغرافية واهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم وأنماط عيشهم، وبمضمونه الفكري والاجتماعي وأسلوبه الأدبي المتميز.

لقد أسهم الرحالة الشناقطة اسهامًا كبيرًا في كتب الرحلات المختلفة، وجاءت أهمية نصوص تلك الرحلات الشنقيطية في كونها ملتقى ومنبعًا لحقول معرفية متعددة، فهؤلاء الرحالة يُؤرخون للسياقات والظروف التي اكتنفت تلك الرحلة، وفضلاً عن ذلك فانهم يوردون أحداثًا ووقائع، ويصفون الأمصار والأشخاص الذين زاروها وارتحلوا اليها. ان الكثير من الرحالة الشناقطة كان لهم دورًا هامًا وفعالاً في رصد وتسجيل الحوادث والمعلومات في رحلاتهم، ممن كتبوا في فن الرحلة باعتبارها أسلوبًا علميًا وأدبيًا

ان رحلات الشناقطة تمثل نموذجًا حيًا لتلك الرحلات والهجرات السكانية، فهي تُعد جزءًا أساسيًا من تاريخ الحجاز في حقبتها التاريخية المختلفة، فمنذ أن من الله عليها بمجيئ الإسلام توافدها اليها الكثيرون من مختلف أنحاء العالم، واستقروا بجوار الحرم المكي الشريف، والإسلام بقيمه حقق انصهارًا بين الرحالة ووحد بينهم، فكان يربطهم برباط مشترك.

لقد عرف التراث الشنقيطي كتابة الرحلة الحجازية خاصة في القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، وهذا القرن يُعد من أهم القرون التي أسهم فيها الشناقطة اسهامًا واضحًا في كتابة رحلاتهم بمختلف أنواعها، الا أن هذه الاسهامات، كانت قليلة الإنتاج بالقياس الى كتب الرحلات الجزائريين والمغاربة، وهذا راجع الى قلتهم والى عدم رجوع الرحالة الى بلاد شنقيط، فضاع العديد من مؤلفاتهم، وكان من هذه الرحلات مختصرًا وبعضها مطولاً، ومنها ما كُتب شعرًا فصيحًا وبعضها نثرًا مسجوعًا أو مرسلاً.

وبهذا شكلت الحجاز اهتمام كبير من طرف الرحالة الشناقطة حيث أنهم أرخوا لهذه المنطقة، ويُعتبر العلامة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي من بين الرحالة الشناقطة الذين اهتموا بهذه المنطقة وألفوا لها، وتعد رحلته من بين أهم الرحلات الشنقيطية الى الحجاز خلال القرن 19م حيث تناول مختلف الجوانب الاجتماعية، والسياسية والثقافية للحجاز ومصدر من المصادر المهمة.

ان الرحالة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي كان من ضمن الذين زاروا منطقة الحجاز، فترك كتب تروي حكاياته وأهم ما شاهده واكتشفه من خلال رحلته الى بلاد الحجاز.

وعليه فالإشكالية الرئيسية التي يتمحور حولها الورقة البحثية هي: كيف وصف الرحالة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي الوضع العام في منطقة الحجاز خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي في مؤلفاته المختلفة؟

ان الهدف من هذه الورقة البحثية هو دراسة الرحلات وتتبع جهود الرحالة لها أهمية كبرى في الحفاظ على مكانتها واتخاذها كمصدرًا مهمًا لكتابة التاريخ. ومن أجل الالمام بالموضوع اتبعت المنهج الوصفي، وذلك من خلال سرد وصف الرحالة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي للأوضاع السائدة بمنطقة الحجاز.

1. رحلة العلامة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي:

كانت الرحلات عند الشناقطة مشغلا رئيسيا وحاجة ملحة استدعتها حياة البدو وزادت من رواجها، ومن هنا يحسن القول إن قساوة الطبيعة وقوة التمسك بالدين. لذلك ضرب القوم في الأرض يبتغون من فضل الله أمين البيت الحرام ملتمسين الأسانيد العالية والإجازات[1] ،فرجعوا إلى قومهم بموفور المال ونفيس الكتاب وذلك بعد أن تركو هناك بالمشرق عامة والحجاز خاصة بصمات من ثقافتهم بارزة ولعل تكاد تنفرد من بين مثيلاتها في العالم العربي بالظعن والمسير، إذ أنتج أبنائها الشناقطة هذا ما قد يسمح بالقول أن الثقافة معارفهم وهم يضربون في الأرض متخذين العيس مدرسة[2] .فإذا كانت الثقافة وليدة التمدن والإقامة وربيبة التحضر والاستقرار، فإن الشناقطة استطاعوا أن يظهروا هذا التقليد ويعكس الآية، فجاؤوا من الأمر جديدا ،بحيث سطروا ثقافة متميزة رعتها السفرية والارتحال وأظلتها الحركية والانتقال، وذلك ما أوضحه المختار بن بون الحكني (ت.1220ه) بقوله :" ونحن ركب من الأشراف منتظم الأجل ذا العصر قدرا دون أدنانا قد اتخذنا ظهر العيس مدرسة بها نبين شرع الله تبيانا.[3]

إن السمة الغالبة على الشناقطة هي الحرص على أداء فريضة الحج والعمل على تأدية مناسكه غير أنهم إنقسمو طائفتين: طائفة انست من نفسها قدرة على الحج فارتحلت إلى أرض الحرم وأدت المناسك حقها، وطائفة لم تستطيع إلى ذلك سبيلا، فاستبدلته بالشوق والحنين واستعاضت منه بالتعلق الروحي لذلك نصادف لدى أصحابها شوقا إلى أرض الحجاز شديدا واحتفاء بالقادمين من الحرم كثيرا، ومن أهم الرحلات الشنقيطية الحجازية في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، محمد محمود ولد التلاميذ، الذي كان بمثابة عاصفة علمية هبت من صحراء شنقيط وبواديها، وهو أول أستاذ للغة العربية في الأزهر الشريف، وفي مقدمة الذين عملوا لإحياء أمهات تراث اللغة العربية، الذي قال عنه تلميذه أحمد حسن الزيات إنه "آية من آيات الله في حفظ اللغة، والحديث، والشعر، والأخبار، والأمثال، والأنساب، لا يند عن ذهنه من كل أولئك نص، ولا سند، ولا رواية."

1.نسبه:

إنه محمد محمود ولد أحمد المعروف بـ(التلاميذ) حيث كان أحمد هذا يخصص خيمة لتعليم التلاميذ وكانت تلك الخيمة تعرف بخيمة التلاميذ... ثم أطلق هذا اللقب على الرجل نفسه صار علما عليه ليعرف ولده محمد محمود بعد ذلك بـ(ابن التلاميذ) اختصارا...التركيزي نسبة إلى تركز إحدى القبائل الشنقيطية التي تنتسب إلى بني أمية ...وقد عرف عن ابن التلاميذ أنه كان يكتب في توقيعه (العيشمي) نسبة عبد شمس جد الأمويين.[4] ولد إبن التلاميذ في العقد الثاني او الثالث من القرن الثالث عشر من الهجرة في

ضواحي قرية أشرم،[5] ولم تحدثنا المصادر بالكثير عن أشياخه على الرغم من كثرة تنقله بين المحاظر حيث لم تتحدث إلا عن شيخين هما: العلامة أجدود ولد اكتوشن العلوي أحد علماء تكانت في القرن الثالث عشر الهجري ،التاسع عشر الميلادي ،الذي عرف بالتبحر في جميع العلوم وخصوصا غرب الجزائر وأقصى شمال موريتانيا ، حيث درس عليه الحديث و علومه.[6]

قرأ على أبيه وبعضَ أقاربه، كما أشار إلى ذلك في ميميته التي نظمها لمؤتمر العلوم الشرقية بِاستكهلم، فقال:

غذاني بدرِّ العلم أرأف والدٍ وأرحم أُمٍّ لم تُبِتْني على غمِّ

ولم يفطماني عنه حتى رويته عن الأب ثم الأخ والخال والأُمِّ

وعن غيرهم من كل حبر سميدعٍ تقيٍّ نقيٍّ لا عييٍّ ولا فدْمِ

وقد عرف عن ابن "تندوف" ،بلعمش هذا تخصصه في الحديث و علومه في ذلك العصر ،هذا إضافة إلى والد ابن التلاميذ، وآخرون ممن يفترض أن يكون أخذ عنهم من محيط أسرته التي عرفت بالعلم والمعرفة وفي المقابل تلمح بعض المصادر إلى أن الشيخ لم يكثر من الإشارة إلى أشياخه ربما لعدم رضاه عن أكثرهم حيث كان يصف الناس في زمانه بعدم الفهم الصائب أحيانا وبالتقليد الأعمى لمن سبق إنه محمد محمود ولد أحمد المعروف "بالتلاميذ" حيث كان أحمد هذا خصص خيمة لتعليم التلاميذ وكانت تلك الخيمة تعرف بخيمة التلاميذ ...[7] ثم أطلق هذا اللقب على الرجل نفسه فصار علما عليه ليعرف ولده محمد محمود الفقه والنحو واللغة أما الثاني فهو العلامة ابن بلعمش الجكني الذي مر به ابن تلاميذ في الواقعة في بعد ذلك ب"ابن التلاميذ" اختصارا ....التركزي نسبة إلى "تركز" إحدى القبائل الشنقيطية[8] التي تنتسب إلى بني أمنه ... وقد عرف عن إبن التلاميذ أنه كان يكتب في توقيعه (العيشمي) نسبة إلى وهم أحيانا أخرى ولعل في ذلك ما يفسر اهتمامه فيما بعد بتصحيح الكتب و تهذيبها طول حياته[9]، هذا العمل هو الذي جعل منه محط أنظار معاصريه من بلدان إسلامية مختلفة ويقتدوا بعمله ويبحثون عن مناظرتهم له ليتفقهوا من علمه في مختلف الميادين وخاصة العلوم العقلية منها.

2.1 رحلته العلمية:

إن الإنسان بطبعه ذواق إلى اكتشاف المجهول ... والرحلة هي الطريقة المثلى لتحقيق ذلك ومن هنا فإن الرحلة قد تكون – ولو في نظر البعض- هدفا في حد ذاتها غير أن الرحلة عند الشناقطة لا تكون إلا لهدف أصلا[10]، والغالب أن يكون ذلك الهدف أداء فريضة الحج والازدياد من العلم والبحث والإطلام، صع م، صعلى ما استجد من كتب وأبحاث في المجلات العلمية المختلفة، ومن المؤكد أن رحلة إبن التلاميذ كانت لهذه الأغراض كلها.

غير أن المصادر لم تشر إلى تاريخ تلك الرحلة، ولا إلى نقطة البداية بالضبط إلا أنه من المعروف أن ابن التلاميذ في رحلته هذه إلى الحج قد مر بمدينة تندوف ولقى الشيخ ابن بلعمش ودرس عليه الحديث وعلومه، على أن يتابع رحلته إلى مكة المكرمة ليكون على موعد مع موسم الحج هناك سنة 1283هـ،[11] وبعد أدائه لفريضة الحج فضل الإقامة هناك حيث لقي أمير مكة الشريف عبد الله مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية والذي كان معروفا بمحبته لأهل العلم وتكريمهم و الإحسان عليهم، وقد أعجب الأمير بابن التلاميذ إعجابا شديدا فأكرمه أشد إكرام وكان يقيم عنده زمانا يذهب إلى المدينة المنورة ويعود[12]، ثم اتسعت رحلته لتشمل مصر والشام و تركيا.... وكل ذلك بحثا عن الكتب لمطالعتها واستنساخها مما أكسبه معرفة واسعة بكثير من أهل العلم و المعرفة والسلاطين بل وحتى في أوساط الأوربيين والمستشرقين،[13] حيث كان محل إعجاب واعتبار من لدن الجميع بل إنهم جعلوا منه معجزة زمانه في الحفظ والعلم وسعة الإطلاع ... واستدعاه السلطان عبد الحميد الثاني حين علم بقدومه إلى القسطنطينية فأكرمه وأجله وعرف قدره وكلفه سنة 1304هـ بأعظم وأشرف مهمة في ذلك الوقت وهي البحث عن الكتب العربية في إسبانيا وهو ما يعتبر بحق شهادة من الخلافة العثمانية لهذا الرجل بالجدارة والاستحقاق لتحمل قضايا الأمة الإسلامية والبحث عن موروثها العربي الإسلامي العريق.[14]

وطبعا وافق الشنقيطي على القيام بتلك المهمة النبيلة والشريفة مشترطا على الخليفة في ذلك شروطا كان أولها وأهمها عند الشنقيطي هو: عزل ناظر وقف المالكية بالمدينة المنورة الذي كان يحرم الشناقطة من حقوقهم في الوقف حسب ما يراه ابن التلاميذ وهو ما يعكس مدى اهتمام ابن التلاميذ بقضايا أمته الشنقيطية حيث ما حل ومتى ما سنحت الفرصة ... وبعد الإتفاق بين الخليفة وابن التلاميذ على أساس القبول بكل الشروط التي اشترطها الشنقيطي جهز الخليفة لابن التلاميذ سفينة وطباخا ومؤذنا وكاتبا يرافقه في تلك الرحلة.[15]..فذهب ابن التلاميذ في رحلته التي قادته إلى الأندلس أولا فلندن فباريس وبعد إقامته في تلك الأماكن أنجز مهمته ودونها في كتاب سماه (أشهر الكتب العربية الموجودة في خزائن مكاتب دولة إسبانيا) وقد عانى ابن التلاميذ خلال رحلته هذه ومدة إقامته في الأندلس وباريس من وحشة شديدة طال بها ليلة وحن إلى مكة و المدينة[16] ، حيث كتب قصيدته السينية الرائعة الرائعة التي عبر فيها عن حنينه إلى مكة و المدينة....كما صور فيها جميع مراحل الرحلة، وما عاناه فيها من الغربة والوحشة، وما شاهد بأم عينيه من الخراب والدمار الذي ألحق بالجزيرة الأندلسية على يد الغزاة، و ما آلت إليه كتبها و مكتباتها فرثاها أصدق رثاء و بكاها أحسن بكاء.[17]

2. اسهامات العلامة محمد محمود ولد التلاميذ في اثراء العلوم العقلية بمنطقة الحجاز:

لم يكن ابن التلاميذ بذلك الرجل الهادي المرن، ولا بالرجل الأليف الموافق المنكمش على نفسه وكتبه بل عرف عنه عكس ذلك فهو الرجل الطموح الجليل المطلع الناقل الرافض لما يراه مخالفا يقول ما يعتقد أنه الحق ولو على السلاطين والحكام، يرفض مالا يقتنع به جهارا أو ينكر المنكر نهارا وعلى رؤوس الأشهاد بلسانه وقلمه ويده إن استطاع إلى ذلك سبيلا.[18]

يقول أحد تلامذته في وصفه (كان شموس الطبع حاد البادرة قوي العريضة يجادل عن نفسه بالجواب الحاضر والدليل المفحم واللسان السليط)،[19] ورجل هذه الصفات لا شك سيقع في حوار واصطدام مع نظرائه ومعاصريه، وهنا نسجل بعض تلك المساجلات والمناظرات التي كان لها الدور الإيجابي في إثراء الساحة العلمية واستخراج بعض مكنونات علم الشيخ الشنقيطي على الرغم مما يصاحب المناظرات عادة من الشحناء والتباعض...[20]

ففي مكة المكرمة حيث كان الشيخ يحفى برعاية وإعجاب أميرها عبد الله –دارت مناظرات مساجلات وبينه مع بعض علمائها من أهمها ما حصل مع الشيخ الدراج المغربي رئيس المالكية في الديار المقدسة حيث جاهر الشنقيطي بعدم أهليته لتولي هذا المنصب وبأحقيته هو به وأقام على ذلك من الأدلة والبراهين ما يؤكد تفوقه على الشيخ الدراج في العلم والمعرفة، كما ادعى الشنقيطي أن الشيخ الدراج لا يعطي الشناقطة نصيبهم من الأوقاف كاملا.[21]

ولعل من أهم هذه المناظرات تلك التي دارت حول مسألة صرف الصرف وخالفهم الشنقيطي ودارت نقاشات حادة في تلك المسألة حتى وصل الأمر إلى استدعاء الشنقيطي من طرف أمير مكة في محاولة منه للتخفيف من حدة الاختلاف و قطع الخصومة غير أن الشنقيطي أصر أمام الأمير على موقفه وطالب بإحضار خصومه ...فناظرهم و حاورهم حتى أفحمهم وأبطل حججهم وفند أدلتهم وبالغ في ذلك حتى ألف نظما جمع فيه الأدلة وناقشها ورد على المخالفين سماه "الحق المبين المضاع في رد إختلاف الجهلة الأوغاد الوضاع" مشيرا إلى تاريخ الاختلاف في المسألة من أيام ابن مالك في القرن السابع الهجري وحتى يومه ذلك[22]، ومحذرا من التقليد الأعمى مشيرا في نفس الوقت إلى أن سيبويه والفراء قائلا: بعدم منعها من الصرف وهو ما يراه الشنقيطي أيضا ...فحسمت المسألة لصالحه وعلى حساب خصومه و مخاليفه.[23]

لم يكن ابن التلاميذ بذلك الرجل الكثير التأليف كما قد يتوقعه القارئ عنه نظرا لغزارة علمه وسعة إطلاعه وقدرته الفائقة على الكتابة والتأليف، بل كان جل اهتمامه منصبا على تصحيح وتهذيب التراث العربي الإسلامي من خلال تعليقاته وحواشيه توضيحاته التي ذللت مصاعب كثيرة وأوضحت غوامض يصعب على غيره إيضاحها[24]، فكان له الفضل على كل المكتبات العربية ودور النشر بما أسداه لهم من خدمة جليلة في ميدان التصحيح و التهذيب حتى أن المطابع لتفخر بأن طبعتها من القاموس المحيط وفق نسخة ابن التلاميذ الشخصية، وهو ما يجعل منها نسخة مميزة في التصحيح و التدقيق.[25]

ان شهرته العلمية هذه جعلت الملك أسكار الثاني ملك السويد والنرويج عند عقده للمؤتمر الثامن للعلوم الشرقية باستكهلم سنة 1306هـ يطلب من السلطان عبد الحميد أن ينتدب الشيخَ إليه، فانتدبه مع مدحت أفندي الكاتب التركي الشهير، ونظَم الشيخ قصيدتَه الميمية ليُقدِّمها للمؤتمر، وأولها:

ألا طرقتْ ميٌّ فثَّى مطلع النجمِ غريبًا عن الأوطان في أُمَمِ العجمِ

ذكر بها سببَ هذه الرحلة وابتداء تحصيله للعلم بالمغرب ورحلته إلى المشرق، وضمَّنها مسائل علمية، ورثى نفسَه فيها، وختمَها بذكر القبائل العربية المشهورة، ولكنه لم يسافر لاشتراطه شروطًا أغضبت السلطان، فأمر بسفره إلى المدينة، ومنها قدِم إلى القاهرة وألقى بها عصا التَّسْيار، واستحضر أهلَه وكُتبَه من المدينة، وأقبل على المطالعة والإفادة إلى أن تُوفِّي بدار سكنه القريبة من الأزهر قُبيل الغروب من يوم الجمعة 23 شوال سنة 1322هـ عن سنٍّ عالية، ولم يمرضْ إلا أيامًا قليلة.

ولم يترك من الآثار إلا «الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية»، ضمَّنها شيئًا من أخباره وقصائده وردوده على مَن خالفه في بعض المسائل العلمية، وطُبِعت بالقاهرة في مطبعة الموسوعات سنة 1319هـ، وله أرجوزة سمَّاها: «عذب المنهل والمعل المسمَّى صرف ثعل» لم تُطبع، و«إحقاق الحق وتبريء العرب مما أحدث عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب»، وهي حاشية على شرح لامية العرب لعاكش اليمني، وكان قد وفد على الشريف عبد الله بن محمد بن عون بمكة وقدَّم له هذا الشرح، فطلب الشريف من الشيخ أن يكتب عليه فكتب هذه الحاشية وبيَّن فيها أغلاطه، وهي مخطوطة لم تُطبع، وكان شرع في تأليف كتاب سمَّاه: «بنيان العلم المرصص في أوهام المخصص» لم يكتب منه إلا ما طُبِع على حواشي المخصص، وكان صحَّح بعضَ الأوهام الواقعة في الطبعة البولاقية من الأغاني، ولم يستوعب كلَّ ما فيه، فجرَّدها من حواشي نسخته الشيخُ ا محمد عبد الجواد الأصمعي وطبعها بالمطبعة الجمالية بالقاهرة سنة 1332هـ بعنوان: تصحيح الأغاني.

توفي ولد التلاميذ في شوال عام 1322 هـ، وقبلها حضر جنازة صديقه الشاعر الكبير محمود سامي البارودي الذي توفي قبله بيوم واحد، ومشى فيها قليلا ثم عاد عاجزا عن متابعة المسيرة، وشيعت جنازته ظهر اليوم التالي، ولعل من الصعب إحصاء مؤلفاته الثرية في اللغة والدين ولعل أبرزها.

وفيما يلي سرد لبعض ما توصلت إليه أيدي الباحثين في هذا المجال من مؤلفات الشيخ الشنقيطي:[26]

-أشهر الكتب العربية بخزائن مكاتب دولة إسبانيا "مخطوط بدار الكتب الوطنية التونسية تحت رقم 18675.

-"طهارة العلم "حصر فيه أخطاء مجموعة من علماء الحجاز.

- كتاب "عذب المنهل في مسألة صرف ثعل".

-كتاب "عروس الطروس".[27]

- "تصحيح الأغاني – للأصفهاني"

- " الدرر في صرف عمر"

- " فهرس بأشهر الكتب العربية في اسبانيا"

- " هوامش لسان العرب لابن منظور"

3. ثناء العلماء علية:

كان أولئك الطلبة الكبار يتحدثون بأنهم لم يروا ضربا للشيخ الشنقيطي في حفظ اللغة ورواية (يقول عنه طه حسين):"الحديث سندا ومتنا عن ظهر قلب، وذكر أن الأزهر كان أغفل طويلا اللغة العربية والأدب من مناهجه حتى أدخلهما محمد عبده في الدراسة الحرة وجعل تدريس اللغة للشيخ الشنقيطي.[28]

ويقول عنه الأستاذ: محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المصرية (إنه العلامة المحدث الذي إنتهت إليه رئاسة علوم لاسيما علم الرواية للحديث الشريف وأشعار العرب المخضرمين وأعلم المسلمين بأسرار اللغة العربية والواقفين على المخطوطات ومرجعا في تقرير الأحكام اللغوية).[29]

ويقول عنه عبد الجواد الأصمعي الذي جمع تصحيحاته لكتاب "المشارق بالبحث والتحقيق والنبوغ الفائق والتدقيق "بأنه كان أعلم علماء اللغة العربية في وقته وأعرفهم لغربها وأكثرهم حفظا لتاريخ العرب وأنسابهم.[30]

ويقول عنه :إسماعيل حافظ صاحب مطبعة الموسوعات بالقاهرة (إنه العلامة الثقة وصفوه المثقفين إمام العلم بالحرمين الشريفين قبيل رحيله إلى مصر و خادمه بالمشرقين و المغربيين العلامة الثقة أو الحجة مجدد ما درس من علوم العرب العرباء و العاربة وفنون العربية الغراء)[31].

ويقول عنه عبد الجليل براده: "أنه أحد فضلاء الدهر لم تر العين مثله ولا أظنها تراه الحائز من كل معنى غايته ومنتهاه "[32]،ويقول عنه سفير السويد بمصر وهو مستشرق ذو إطلاع على الثقافة العربية (كان رجلا عربيا قحا ....من صميم العرب لغة وعادة ومنشئا ومسكنا ...).[33].

ويقول عنه أحمد حسن الزيات باشا صاحب مجلة الرسالة الذي درس عليه شرح المعلقات: حلف الشبقيطي أن لا يُدرس إلا من مدحه بقصيدة ويكون عنده لكل كلمة منها شاهد من أشعار العرب، قال الزيات جئته وألقيت عليه قصيدة أمدحه بها ومن ضمنها وأنت حامل الدرفس.. فنظر إلى قائلا وما الدرفس؟ قلت الراية قال وما شاهدها؟ قلت قول البحتري وَالمَنايا مَواثِلٌ وَأَنوشِر - وانَ يُزجى الصُفوفَ تَحتَ الدِرَفسِ، فاعتمدني بين طلابه وكان الأزهر اغفل طويلا اللغة العربية والأدب من مناهجه حتى أدخلهما محمد عبده في الدراسة الحرة وجعل تدريس اللغة للشيخ الشنقيطي ومن الغريب أنه لا يوجد من القاموس المحيط إلا نسخة واحدة نقلها ولد التلاميذ من حفظه وقصتها معروفة.

ويقول عنه سفير السويد بمصر وهو مستشرق ذو إطلاع على الثقافة العربية: كان رجلا عربيا قحا من صميم العرب لغة وعادة ومنشأ ومسكنا.

ان هذا الاعتراف من طرف علماء مغاربة ومشارقة عن ذكاء محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي ليس من باب الصدفة، بل راجع للمجهودات العلمية والفكرية التي تميز بها وهذا ما جعل المؤرخين يعتمدون

على مؤلفات العلامة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي لتدوين تاريخ منطقة الحجاز خاصة والعالم الإسلامي عامة.

خاتمة:

اهتمت هذه الورقة البحثية بابراز دور الرحالة الشناقطة وخاصة العلامة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي في المحافظة على التاريخ والتراث الحضاري الاسلامي.

لقد شهد مطلع القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي عدة تنقلات بين البلدان الإسلامية، بما فيها الرحلات الشنقيطية الى بلاد الحجاز، وهو ما أسهم في ظهور رحالة من بلاد شنقيط أمثال العلامة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي الذي سجل مشاهدته ومعيشته في بلاد الحجاز وذلك باعتبارها مصدرًا تاريخيًا هام للأحداث التي جرت في تلك الفترة.

ان هذه الورقة البحثية التي حملت عنوان "الحجاز من خلال الرحالة الشناقطة خلال القرن التاسع عشر الميلادي {محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي أنموذجًا} كشفت لنا عدة نتائج واستنتاجات، ولعل أهم ما توصلت اليه من نتائج هي على النحو التالي:

- لقد كانت الرحلة عونا كبيرا باعتبار أنها من أهم المصادر المحلية بتأكيدها الوقائع عن طريق المشاهدة والمعاينة، فساهم بذلك الرحالة الشناقظة في توسيع مداركنا حول مجتمعات المشرق عامة والحجاز خاصة

بفضل ما أوردوه من معلومات عن طريق مجاورتهم للعلماء وأصحاب المعرفة بثقافات وتقلبات أحوالها.

- اتصفت معطيات رحالة القرن التاسع عشر الميلادي بأنها كانت سردية ووصفية عامة، تعزوها الدقة في إعطاء معلومات حول مضمون وشكل الإجازات العلمية، في حين كان رحالة القرن الذي سبقه يوردون نص الإجازة كاملا كما أوضح ذلك المقري في كتاب رحلته.

- أتاحت مؤلفات الرحالة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي التعرف على كوكبة من علماء المغرب العربي ومنطقة الحجاز وطرق التواصل الثقافي والفكري بينهم، ويبدوا أن مساجد مكة المكرمة والمدينة المنورة ودور رجال العلم كانت المراكز الأساسية لهذا الاحتكاك.

- لقد احتل وصف المدن والقرى والآبار ونحو ذلك مكانا بارزا في رحلة محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي إلى الحجاز وكانت بعض أخبار هذه الأمور منقولة عن مصادر أخرى، وبعضها من مشاهداته الخاصة.

- الإكثار من الكلام والمدح والحديث عن مكة والمدينة، ونقل الأخبار عن تقاليد أهل هذين الموضعين الشريفين، وذكر عدد من المشاهد والآثار والآبار وغيرها التي كانت في نظره جديرة بالزيارة كما اهتموا بتسجيل تقاليد وعادات أهل مكة والمدينة وأحوال المدن والقرى والمياه والطرق التي مر بها.

- ربط العلاقات الودية والعلمية مع علماء الحرمين الشريفين (مكة المكرمة والمدينة المنورة).

ويظهر بوضوح مما سبق أن الرحلات الشنقيطية إلى الحجاز، على قلتها في الفترة المدروسة و ضياع بعضها، تعتبر مصدرا هاما من مصادر تاريخ الجزيرة العربية، فالبحث الضائع منها و درس الموجود و تقييمه، واجب علمي في هذه المرحلة من تطور الأمة العربية و نهضة العالم الإسلامي

الهوامش

[1]أبو القاسم سعد الله، **على خطى المسلمين، (حراك في التناقض)**، الطبعةالأولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 1430هـ/2009م، ص32.

[2] مصطفى ولد أحمد، "ذاكرة الوطن"، **مجلة العلم**، العدد 30، نواكشوط، موريتانيا، 1988م، ص32.

[3] نفسه، ص33. وينظر كذلك: أحمد بن الأمين الشنقيطي: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط** – مكتبة المنير -نواكشوط – مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م، ص125.

[4]ماء العينين ولد محمد الأمين، "ابن التلاميذ الشنقيطي حياته وأثاره في النحو واللغة"، **رسالة ماجيستر**، جامعة الفتح، طرابلس، 1984م، ص72. وينظر كذلك: الخليل النحوي: **بلاد شنقيط، المنارة والرباط** – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس، 1987م، ص142.

[5]خير الدين الزركلي، **الأعلام**، الطبعة الثانية المجموعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية 1992، المجموعة 6

[6]نفسه، ص80.

[7]أحمد حسن زيلت، "مقال حول الرحلة" **مجلة الأزهر المصرية**، العدد 33، القاهرة 1961م، ص37.

[8]محمد محمود ولد العيل، **شخصية محمد محمود ولد التلاميذ**، الطبعة الأولى، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط، 2000م، ص231.

[9]خير الدين الزركلي، **المرجع السابق**، ص18.

[10]حشلاف، عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، المطبعة التونسية، تونس، 1929م، ص5

[11]عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الإدريسي الفاسي، **فهرس الفهارس والإثبات معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق محمد عبد الهادي، مكتبة فاس، 1347هـ، ص357.

[12]أحمد أمين، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية 1948، ص289. ينظر كذلك: يحي ولد أحمد معلوم، **ابن الأمين الشنقيطي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية**، جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، 1986، ص250.

[13]أحمد بن إدريس المغربي، **العقد النفيس في جواهر التدريس**، المكتبة الثقافية، بيروت، الصفحة الأوى في تقديم الكتاب.

[14] LE CHATELIER Alfred.. **Les Confréries Musulmans du Hedjaz. ED, Sindibad, Paris. 1964. P14.**

[15] محمد بن عثمان الحشايشي، **الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد الطوارق**، قدم لها وعلق على ترجمتها إلى العربية، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، 1988م، ص93.

[16] STODDARD, Lthrop,**The New World of Islam ,Chapman and Hall**, L TED .London 1922 ,P102

[17] BURTON Richard. **Personal Narrative of A Piligrinage to Mecca and Madina**.London 1975,P114

[18]إدريس بن عبد الهادي الشاكري، **رحلة حجازية**، م، ج، ع بالرباط تحت رقم 11155 ضمن مجموع من ورقة112إلى ورقة132،منها نسخ أخرى تحت رقم ح 104،وح11509

[19]أحمد السبعي، **رحلة حجازية**، ميكرو فيلم، رقم ك 2908 بالخزانة العامة بالرباط، ص40-41.

[20]نفسه، ص44.

[21]عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات **المغربية والأندلسية، مطبوعات** مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ/1996م، ص77

[22] HADJ Sadok, M**. Le Genre « Rihla »**. B.E.A. n°40.nou Dec.1948, PP.195.206.

[23]ديستان، "مقال عن الرحلة"، **المجلة الإفريقية**، العدد العاشر، الجزائر 1911م، ص32.

[24]. محمد بن المحبوب، **أدب الرحلة في شنقيط**، الطبعة الثانية، جامعة محمد الخامس 1995 الرباط 1995م، ص22.

[25] محمد بن المحبوب، **المرجع السابق**، ص82.

[26]ماء العينين ولد محمد الأمين، **المرجع السابق**، ص72.

[27]محمد الحافظ ولد أحمدو، "المشارق في البحث والتحقيق والنبوغ الفائق والتدقيق" **مجلة الشعب الموريتانية**، العدد 2648، موريتانيا، 1986م، ص26.

[28]محمد محمود ولد العيل، **المصدر السابق**، ص131.

[29]محمد بن المحبوب، **المرجع السابق**، ص84.

[30]عواطف محمد يوسف نواب، **المرجع السابق**، ص78.

[31] ماء العينين ولد محمد الأمين، **المرجع السابق**، ص84.

[32]محمد محمود ولد العيل، **المصدر السابق**، ص133

[33]نفسه، ص135.

المراجع:

1 الادريسي الفاسي عبد الحي بن عبد الكبير الحسني، **فهرس الفهارس والإثبات معجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق محمد عبد الهادي، مكتبة فاس، 1347ه

أحمد بن الأمين الشنقيطي: **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط** – مكتبة المنير -نواكشوط – مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م.

2 أمين أحمد، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث**، مكتبة النهضة المصرية 1948.

3 الأمين ولد محمد ماء العينين، "ابن التلاميذ الشنقيطي حياته وأثاره في النحو واللغة"، **رسالة ماجيستر**، جامعة الفتح، طرابلس، 1984م.

4 بن ادريس أحمد المغربي، **العقد النفيس في جواهر التدريس**، المكتبة الثقافية، بيروت، الصفحة الأوى في تقديم الكتاب

5 بن المحبوب محمد، **أدب الرحلة في شنقيط**، الطبعة الثانية، جامعة محمد الخامس 1995 الرباط 1995م.

6 حشلاف، عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي، **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول**، المطبعة التونسية، تونس، 1929م.

7 حشايشي محمد بن عثمان، **الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد الطوارق**، قدم لها وعلق على ترجمتها إلى العربية، محمد المرزوقي، الدار التونسية للنشر، 1988م.

الخليل النحوي، **بلاد شنقيط، المنارة والرباط** – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – تونس، 1987م.

8 ديستان، "مقال عن الرحلة"، **المجلة الإفريقية**، العدد العاشر، الجزائر 1911م.

9 الزركلي خير الدين، **الأعلام**، الطبعة الثانية المجموعة السادسة، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية 1992، المجموعة 6.

10 زيات أحمد حسن، "مقال حول الرحلة" **مجلة الأزهر المصرية**، العدد 33، القاهرة 1961م.

11 السبعي أحمد، **رحلة حجازية**، ميكرو فيلم، رقم ك 2908 بالخزانة العامة بالرباط.

12 سعد الله أبو القاسم، **على خطى المسلمين، (حراك في التناقض)**، الطبعة الأولى، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 1430ه/2009م.

13 الشاكري إدريس بن عبد الهادي، **رحلة حجازية**، م، ج، ع بالرباط تحت رقم 11155 ضمن مجموع من ورقة112إلى ورقة132، منها نسخ أخرى تحت رقم ح 104،وح11509.

معلوم ولد أحمد يحي، **ابن الأمين الشنقيطي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية**، جامعة الفاتح، طرابلس، ليبيا، 1986م.

14 نواف محمد يوسف عواطف، **الرحلات المغربية والأندلسية**، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417ه/1996م.

15 ولد أحمد مصطفى، "ذاكرة الوطن"، **مجلة العلم**، العدد 30، نواكشوط، موريتانيا، 1988م.

16 ولد أحمدو محمد الحافظ، "المشارق في البحث والتحقيق والنبوغ الفائق والتدقيق" **مجلة الشعب الموريتانية**، العدد 2648، موريتانيا، 1986م،

17 ولد العيل محمد محمود، **شخصية محمد محمود ولد التلاميذ**، الطبعة الأولى، المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية، نواكشوط، 2000م.

18 BURTON Richard. **Personal Narrative of A Piligrinage to Mecca and Madina**.London 1975.

19 LE CHATELIER Alfred. **Les Confréries Musulmans du Hedjaz. ED, Sindibad, Paris. 1964.**

20 HADJ Sadok, M**. Le Genre « Rihla »**. B.E.A. n°40.nou Dec.1948,

21 STODDARD, Lthrop**, The New World of Islam, Chapman and Hall,** L TED .London 1922.

: